مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١:٢٤– ٢٦، ٣٢ –٣٩)

يا إخوةُ بالإيمان موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابنًا لابنةِ فِرعون* مُختارًا الشَّقاء معَ شعبِ اللهِ على التمتُّعِ الوقتيّ بالخطيئة* ومُعتَبِرًا عارَ المسيح غنًى أعظمَ من كُنوز مِصر. لأنَّهُ نَظَرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضًا. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشونَ ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمانِ قَهَروا الممالكَ وعملوا البِرَّ ونالوا المواعِدَ وسَدُّوا أفواهَ الأسود* وأَطفأُوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوْا من حَدِّ السيفِ وتَقَوَّوْا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاءَ في الحربِ وكَسَروا معسكَراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليَحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسِّجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في

أحد الأرثوذكسية

«الآن نورُ حسْن العبادة قد بُسط على الجميع مبدداً طغيان الكفر كغمامة ومنيراً قلوب الحسني العبادة. فهلمَّ أيها المستقيمو الرأي كافة لنجثو ساجدين لأيقونات المسيح الشريفة برأي مستقيم» (من صلاة المساء الصغرى لأحد الأرثوذكسية).

بهذه الكلمات تدعونا الكنيسة في الأحد الأول من الصوم المسمّى أحد الأرثوذكسية أو أحد المستقيمي الرأي، لأن نسجد لأيقونات الرب يسوع ووالدة الإله والقديسين ونكرّم مَنْ صوِّر على هذه الأيقونات بإضاءة الشموع أمامها وتبخيرها. كما يقام في نهاية القداس الإلهي زياح تُحمل فيه الأيقونات وذلك تذكاراً للزياح الذي أُقيم في القسطنطينية في الأحد الأول من الصوم في العام ٨٤٣ عندما أعلنت الكنيسة انتصار عقيدة إكرام الأيقونات ضد محاربيها. وقد سُمِّي هذا الأحد منذ ذلك الوقت بـ«أحد الأرثوذكسية»، لأننا عندما نقبل أيقونة السيِّد ونكرِّمها فنحن نقبل عقيدة التجسد الإلهي، أي ان ابن الله صار إنساناً، والتي كانت موضع جدل كبير في ذلك الوقت خصوصاً مع الفتح العربي، وما زالت لغاية اليوم موضع جدل لدى بعض الشيع مثل شهود يهوه.

لم تكن الأيقونة، ولن تكون، مجرد كماليّات عبادية في الكنيسة، بل هي تعبير أساسي عن التقوى والإيمان الأرثوذكسيين. الأيقونة هي النتاج الطبيعي للإيمان القويم بتجسد كلمة الله، الشخص الثاني في الثالوث، الرب يسوع المسيح. كما تحمل الطابع الأسراري إذ تستحضر أمام المؤمن الشخص أو الحدث المرسوم عليها. هذا البُعد الإيماني التقوي الذي تحمله الأيقونات عبّرت عنه الكنيسة في صلواتها. ففي صلاة مساء العيد نرنم: «أيها السيد غير المحصور بطبيعتك الإلهية، لقد تنازلت أن تتجسد في آخر الأزمان وتكون محصوراً، لأنك باتخاذك البشرة اقتبلت أيضاً جميع خواصها، لذلك نرسم شكل تمثالك ونصافحه بالنظر إلى الأصل، متسامين نحو محبتك، مرتشفين منها نعمة الأشفية، تابعين لتقليدات الرسل الإلهية». ابن الله صار إنساناً، لذا نستطيع رسمه.

إذاً في تكريمنا الأيقونات في هذا اليوم نحن ندافع عن الإيمان القويم

العدد ٢٠٠٧/٨
الأحد ٢٥ شباط
الأحد الأول من الصوم
(أحد الأرثوذكسية)
تذكار أبينا الجليل في القديسين
طاراسيوس رئيس
أساقفة القسطنطينية
اللحن الرابع

جلودِ غنمٍ ومَعزٍ وهم مُعوزون مُضايقون مَجهودون* (ولم يكنِ العالمُ مستَحقًا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكُهوف الأرض. فهؤلاء كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بيتَ صيدا من مدينة إندراوسَ وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنَائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ نَثَنَائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللهِ أنتَ ملكُ إسرائيل*أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ

بتجسّد ابن الله، الرب يسوع من أجل خلاصنا لأننا لا نكرِّم في الأيقونة الخشب والألوان بل الرب المتجسد.

لقد تعرّضت الأيقونة في القرنين الثامن والتاسع لحملة اضطهاد كبيرة امتدت لأكثر من مئة سنة سَميت بحروب الأيقونات، تمَّ خلالها تحطيم وتلف الكثير من الأيقونات واضطهاد كل مَن يؤيد إكرامها. هذه الحروب كانت على مرحلتين: الأولى ابتدأت سنة ٧٢٦ وانتهت بانعقاد المجمع المسكوني السابع سنة ٧٨٧، والثانية ابتدأت عام ٨١٣ وانتهت بانتصار الأرثوذكسية عام ٨٤٣.

المرحلة الأولى من الحرب ابتدأت مع مرسوم الإمبراطور لاون الثالث الأيصوري، الذي منع بموجبه السجود للأيقونات، كما أمر برفع الأيقونات إلى أماكن عالية لكي لا يستطيع المؤمنون الوصول إليها. بعدها أمر عام ٧٢٧ بإنزال أيقونة للسيد مكرّمة لدى الشعب القسطنطيني. يظن البعض ان سبب محاربته للأيقونات هو رغبته في تقوية دعائم مملكته عن طريق استمالة المسلمين واليهود الذين كانوا ينتقدون إكرام الأيقونات ويعتبرونه نوعاً من العبادة الوثنية. هذا بالإضافة إلى التطرفات والتجاوزات التي كان يمارسها بعض الجهَّال المسيحيين في تكريمهم للأيقونات.

لقي قرار الملك مساندة الجيش وبعض الأساقفة، فيما عارضه بشدَّة بطريرك القسطنطينية القديس جرمانوس (نعيّد له في ١٢ أيار). عام ٧٣٠ تجدَّدت الحملة ضد الأيقونات فأُتلفت أيقونات الكنائس وطُليت الجدرانيات بالكلس وأُحرقت رفات القديسين والملابس الكهنوتية المزينة بالأيقونات والرسوم. كما أزيح البطريرك جرمانوس ونُصِّب مكانه أنسطاسيوس المحارب للأيقونات. استمرت الحرب ضد الأيقونات ومكرِّميها مع ابن لاون قسطنطين الخامس (٧٤١–٧٧٥) الذي جمع مجمعاً هرطوقياً عام ٧٥٤، حضره ٣٢٨ أسقفاً إنما دون مشاركة أحد من البطاركة، وحرّم المجتمعون الأيقونات ومَنْ يدافع عنها بمن فيهم القديس يوحنا الدمشقي. رفضت الكنيسة القرار فتجددت الإضطهادات واستشهد البعض ونُفي البعض وحوَّل الجيش الأديرة إلى ثكنات ونزح أكثر من خمسين ألف راهب إلى إيطاليا.

بقي الوضع على حاله إلى ان عمل الله من خلال الإمبراطورة إيريني التي كانت وصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس، فدعت إلى مجمع مسكوني عُقد عام ٧٨٧ حضره عدد من البطاركة و٣٥٠ أسقفاً أعادوا الاعتبار للأيقونة ولمكرّميها.

جدَّد محاربو الأيقونات اضطهادهم للكنيسة عام ٨١٣ مع الإمبراطور لاون الخامس الأرمني واستمرت الإضطهادات إلى حين تولت الإمبراطورة ثيودورة الحكم كوصية على ابنها ميخائيل الثالث، وكانت مُحبة للأيقونة فدعت عام ٨٤٣ إلى مجمع أعاد الإعتبار للمجمع المسكوني السابع وكرّس عقيدة إكرام الأيقونة، وتمّ تنظيم زياح كبير في شوارع القسطنطينية في الأحد الأول من الصوم.

الصوم رحلة تقودنا إلى القيامة. وما إكرام الأيقونات في بدء الصوم إلا تعبير عن الإيمان المسيحي الحق بأن الذي سوف نحتفل بموته وقيامته في الفصح ليس سوى كلمة الله الذي صار إنساناً، الرب يسوع المسيح المتجسِّد.

تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعايَن أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةُ الله يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

أرأيت أيها الحبيب كيف أن البعض بالإيمان نجا من حدّ السيف، والبعض الآخر بالإيمان أيضاً قُتل بحدّ السيف. إذاً بالإيمان يستطيع الإنسان أن ينجزَ أعمالاً عظيمة أو أن يحتمل عذابات عظيمة، أن يحتمل الموت. وفي الحالتين يبدو له الأمر سهلاً.

إن كان هؤلاء الصدّيقون قد تعذّبوا إلى هذا الحدّ، فكم بالأحرى أنتم المسيحيون تستطيعون ألاّ تضعف نفوسكم إذ تُعانون من مثل هذه الشدائد.

«ساحوا في جلودِ غنَمٍ ومَعزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون ولم يكنِ العالمُ مستحقًّا لهم. وكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكُهوفِ الأرض» (عب ١١:٣٧–٣٨).

لا تستطيعون أنتم المسيحيين أن تقولوا إن الصدّيقين هؤلاء عانوا من العذابات بسبب خطاياهم. كانوا صامدين في الفضيلة فحصلوا أثمن من

حول الرسالة

نقرأ في الأحد الأول من الصوم، مقطعاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين (عبر ١١: ٢٤–٢٦؛ ٣٢–٣٩). تكمن أهميَّة هذه الرسالة في أنها تقدّم تعليماً عقائدياً خاصاً عن المسيح، إذ تبدأ بالتعريف عن المسيح وبتحديد مكانته عند الله وعند الناس، ثم تصل إلى إبراز ميزات كهنوت المسيح الذي هو الكاهن العظيم ورئيس الكهنة الذي عبر تقديم ذاته ذبيحة نحصل على الخلاص. كذلك تحثّ الرسالة المؤمنين على التشبّه بذبيحة المسيح مظهرة أهميَّة الإيمان والصبر في الحياة الروحية. الجزء الأخير من الرسالة يحوي وصفاً للحياة المسيحية الحقيقية ودعوة لسلوك طريق القداسة والسلام.

بسبب الدور الذي تؤديه هذه الرسالة في تشديد المؤمنين ودعمهم في جهادهم الروحي اختارتها الكنيسة المقدّسة لتكون مرافقة لنا خلال الصوم المقدس الذي هو حلبة الجهادات الروحية، فنقرأ في كل يوم سبت وأحد من أسابيع الصوم الخمسة وحتى في سبت لعازر مقاطع مختلفة منها. والفصل الذي نقرأه في الأحد الأول من الصوم هو مقطع من الإصحاح ١١ من الرسالة إلى العبرانيين وفيه تركيز على أهمية الإيمان.

ما هو الإيمان؟ الإيمان الذي يؤدي إلى الخلاص ليس هو فقط الإعتراف بوجو د الله وإلاّ لكانت الشياطين أيضاً تحصل على الخلاص كما يقول يعقوب الرسول: «أنتَ تؤمنُ أنَّ اللهَ واحدٌ. حسناً تفعلُ والشياطينُ يؤمنون ويقشعِرُّون» (يعقوب ٢:١٩). الإيمان الحقيقي هو أن تضع كل ثقتك ورجاءك بالشخص الذي آمنت به وأن تسعى بكل قواك لتكون أميناً لوصاياه وللعهد الذي قطعته على نفسك وعلى الله.

«وأمَّا الإيمانُ فهو الثقةُ بما يُرجى والإيقانُ بأمورٍ لا تُرى» (عب ١١:١). حسب تعريف بولس الرسول للإيمان نفهم أننا إن كنا نثق كليًّا بالله وقد أيقنّا بالفعل وليس فقط بالقول أن كل ما وعدنا به وأخبرنا عنه هو صادق رغم أننا قد لا نراه حسّياً الآن، فهذا سيؤثر على كل حياتنا وتصرفاتنا، لأن كل ما سنقوم به وطريقة حياتنا ستكون مرتبطة لا بل مبنية على أساس إيماننا.

على هذا الأساس نفهم كيف ترك إبرهيم بيته وخرج إلى المكان الذي وعده الله أن يعطيه إياه ميراثاً له دون أن يدري إلى أين يذهب. كل ما كان يملكه هو اتكاله على الله الذي يؤمن به وبأنه سيرشده في طريقه: «بالإيمان إبرهيمُ لمَّا دُعيَ أطاع أن يخرُجَ إلى المكانِ الذي كان عتيداً أن يأخُذَهُ ميراثاً فخرجَ وهو لا يعلمُ إلى أين يأتي» (عب ١١:٨). إبرهيم، أبو المؤمنين، بعد أن وعده الله بتكثير نسله وبعد أن أعطاه الله إبناً في شيخوخته، كان مستعداً لتقديم هذا الإبن الوحيد إسحق ذبيحة وذلك كطاعة لله الذي يثق به: «بالإيمانِ قدَّمَ إبرهيمُ إسحقَ وهو مُجرَّبٌ. قدَّمَ الذي قَبِلَ المواعيدَ وحيدَهُ الذي قيلَ له أنه بإسحقَ يُدعى لك نسلٌ، إذ حسِبَ أنَّ اللهَ قادرٌ على الإقامةِ من الأمواتِ أيضاً الذينَ منهم أخذَهُ أيضاً في مِثالٍ» (عب ١١:١٧–١٩).

كذلك رفض موسى عيشة التنعُّم التي كانت من حقه لو بقي معروفاً أنه ابن ابنة فرعون وفضّل عيشة الذل والتعب والألم على التمتُّع الوقتي بالخطيئة لأنه آمن بالله واعتبر مجازاة الله له أفضل من أي نعيم أرضي، وعرف أن اللذّات في

هذا العالم. العالم هذا حسب الكتاب هو مجمل الناس الخطأة مع الخليقة أيضاً. هنا يقصد الإثنين، لأن الصدّيقين ظهروا أثمن من الإثنين. ولذلك قال سيراخ: «لا تعتمد على طول حياتهم ولا تستند إلى عددهم. ولدٌ واحد خير من ألف، والموت بلا ولد خير من الأولاد الكافرين» (سيراخ ١٦:٣).

بهذا الكلام يحثّ الرسول المسيحيين على ألاّ يطلبوا شيئاً من هذا العالم لأنه لا يليق بالقدّيسين. إن كان العالم كلّه غير جدير بقدّيس واحد، فكيف تطلب أنت أيها المسيحي أن تأخذ من هذا العالم أجرة فضيلتك؟

«تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض»: هكذا فعل إيليا وأليشع والأنبياء المئة الذين أطعمهم عبديّا.

لم يكن للأنبياء بيوت بل مغاور وخيم من خشب كما قال الكتاب: «وقال بنو الأنبياء لأليشع: إن هذا المكان الذي نحن مقيمون فيه قد ضاق بنا فلنذهب إلى الأردن ويأخذ كل رجل خشبة من هناك ونصنع لنا هناك مكاناً لإقامتنا» (٤ ملوك ٦:١-٢).

لم يسكن الأنبياء بهدوء حتى في البراري إذ كانوا ملاحَقين، فينتقلون من مكان إلى آخر، ومع ذلك صبروا لأنهم كانوا يؤمنون بالتعزية الأبدية من الله.

القديس نيقوديموس الآثوسي

هذه الحياة الأرضية هي آنية وزائلة (عب ١١:٢٤-٢٦). وقد تشبّه موسى بالمسيح وقد عُيِّر من شعبه بعد أن أخرجه من مصر كما عَيَّر العبرانيون المسيح الذي أحسن إليهم.

إذاً بفضل إيمانهم حقّق الآباء في أحيان كثيرة معجزات وعجائب: «الذينَ بالإيمانِ قهروا ممالِكَ صنعوا برًّا، نالوا مواعيدَ، سدّوا أفواهَ أسودٍ» (عب ١١:٣٣)، وفي أحيان أخرى تعرَّضوا لعذابات واضطهادات: «وآخرونَ عُذِّبوا ولم يقبَلوا النَّجاةَ لكي ينالوا قيامةً أفضلَ» (عب ١١: ٣٥). فقد كان باستطاعتهم النجاة من عذاباتهم لو أنكروا إيمانهم إلا أنهم لم يفعلوا بل ثبَّتوا إيمانهم بأفعالهم.

هناك ارتباط وثيق بين الإيمان والأعمال، فأعمال الإنسان تتأتى من إيمانه وإيمانه يُعرف من أعماله: «هكذا الإيمانُ أيضاً إن لم يكن له أعمالٌ ميّتٌ في ذاتِهِ. لكن يقولُ قائلٌ أنتَ لكَ إيمانٌ وأنا لي أعمالٌ، أرِني إيمانَكَ بدون أعمالكَ وأنا أُريكَ بأعمالي إيماني» (يع٢:١٧-١٨).

تضع الكنيسة هذا المقطع من الرسالة إلى العبرانيين في الأحد الأول من الصوم لتذكّرنا بالإيمان الذي يجب أن نتحلّى به خلال الصوم لكي نتأكّد ان الله سيجازينا حسناً إن جاهدنا لننقي ذواتنا محبة فيه، وسيؤهلنا لنقوم معه في يوم الفصح المجيد.

في الصوم

مغبوط حقاً ومثلّث الغبطة من قد حفظ الصوم، لأنه بالحقيقة فضيلة عظيمة القدر. وهو أنواع:

١- **صوم اللسان**، بأن لا يزلّ بكثرة الكلام الفارغ ولا يشتم، بأن لا يسبّ ولا يلعن ولا يتفوّه بالكلام الباطل، بأن لا يثلب أحداً أمام آخر ولا يكيد له ولا يفشي الأسرار، وبأن لا يتعرّض لما ليس من شأنه.

٢- **صوم الأذن** بأن لا يلعن أحداً عند سماعه الباطل.

٣- **صوم العينين**، بأن يغض الطرف فلا يتفرّس ولا يتأمل في المناظر الخلابة وفي ما ينبغي أن لا ينظر فيه ملياً.

٤- **الصوم عن الغضب** بأن يكظم غيظه فلا يستشيط غيظاً بسرعة.

٥-**الصوم عن حب الشرف** بأن يقهر المجد الباطل فلا يهتمّ بشرف ولا يطلب مكانة رفيعة ولا يستعلي ذهنه، بأن لا يبتغي الأعالي ولا يتشامخ، ولا يتخيّل المدائح.

٦- **صوم الذهن** بأن يعذب الأفكار بمخافة الله لئلا تتنازل أو تتلذذ بفكر خادع مثير للإضطرام الداخلي.

٧- **الصوم عن الأطعمة**، بأن يحتمي منها فلا يتطلب أغذية تفيض عن الحاجة ولا ألواناً من الطعام باهظة الثمن، وبأن لا يأكل قبل أوان الطعام أو قبل ساعته المعينة، ولا يتعبد لروح شراهة البطن ولا يتضلع (أي يمتلئ) من الأطعمة الفاخرة أو يشتهي طعاماً أثمن أو لوناً آخر.

٨-**الصوم عن الأشربة**، بأن يحتمي منها فلا يُجرَّب بشرب النبيذ أو التلذذ بالخمور.

٩-**الصوم عن الشهوة واللذة الرديئة**، بأن يضبط الحس فلا يقع في شرك الشهوات العارضة له ولا ينحني ليقبل الأفكار التي تُخْطر الهوى على البال، بأن لا يتلذذ كأنه يرتكب بذلك الفاحشة المكروهة وبأن لا يعمل مشيئة الجسد، بل أن يلجمه بتقوى الله.

القديس افرام السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb